التَّعَدُّدُ الإِصْطِلاحِيُّ
فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ
سَيْف خَطِيب مِثَالاً

Diversity Terminology
in the Arab Heritage
Seif Khatib as a Nonpareil

أ.م.د.مَلِيكَة ناعِيم

جامعة القرويين . كلية اللغة العربية

مراكش . المغرب

Asst. Prof. Dr. Maleeka Naeem

Arabic Language Faculty

University of Alquarauiying

Marocoo

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

من البحوث المشاركة في

مؤتمر العميد العلمي العالمي الثاني

المنعقد تحت شعار

نلتقي في رحاب العميد لنرتقي

وبعنوان

إدارة أزمة المصطلح من الخلاف إلى الاختلاف

للمدة من ٩-١١ تشرين الأول ٢٠١٤م

برعاية العتبة العباسية المقدسة

A research paper taken from
Al-Ameed Journal Second Global Academic Conference under
the Auspices of General Secretariat
of Holy Al-Abbas Shrine
held as of 09 to 11 -10- 2014
Under the slogan

Under the Shade of Al-Ameed
We Do Meet to Augment
Discource Juncture Management from
Dissention to Alterity

ملخص البحث

الثقافة العربية تعاني اضطرابا في الاصطلاح، تتلخص مشكلاته في الغموض وإغفال الحد ، والتعدد،خاصة في النحو. ولم يسلم التفسير من هذا الإشكال بل أكاد أجزم بأنه في مجاله أعمق لخصوصيات النص وما تقتضيه من الحذر ومن مظاهره «أشكال التعبير عن الحروف الزوائد». لقد أثير جدال حول الزوائد في القرآن الكريم، بحجة أن سياقه مترفع عن الزيادة والنقصان؛ ولجأ المفسرون والنحاة إلى تزيينه بتنويع أشكال التعبير، وقد وسمه البصريون بالزيادة واللغو، وعبر عنه الكوفيون بالصلة. وقد تفنن الألوسي في وصف الزوائد في القرآن، سيرا على سنة غيره من اللغويين، وانفرد بسيف خطيب بحسب ما ثبت لدينا من المصادر. فلماذا سيف خطيب؟ أين استعمله؟ ومن أين أخذه؟ ولماذا اعتمده؟

ABSTRACT

Arabic heritage endures confusion in the orbit of etymology whose hindrances emanate from ambiguity, misconception, diversity in particular. Thus interpretation shackled with such confusion, definitely it is in the heart of text particularity and what attention there should be; expression types of affixation. There surges a controversy over the affixation in the Glorious Quran under the pretext that the Quranic context surpasses hyperbole and litotes; the interpreters and grammarians resort into decorating it with various expression forms. The Basraians regard it as hyperbole and litotes, the Kufians as a relation, Alaloosi does his best in calling it concurrent with other traditional grammarians and Saif Al-Kate takes a path, due to certain sources, in calling it. Why is Saif Al-Khateeb? Where does he employ it? From whom does he borrow? Why does he take seizure of it?

... توطئة ...

من المعلوم أن الثقافة العربية في مختلف عصورها تعاني اضطرابا في الاصطلاح، تتلخص مشكلاته في الغموض وإغفال الحد، والتعدد؛ سواء تعدد الاصطلاحات الدالة على معنى واحد أو العكس (**الحيادرة، ٢٠٠٣، ص ص، ٨٣، ٨٩**). خاصة في النحو، ولم يسلم التفسير من هذا الإشكال بل أكاد أجزم بأنه في مجاله أعمق لخصوصيات النص وما تقتضيه من الحذر؛ ومن مظاهره «أشكال التعبير عن الحروف الزوائد».

لقد أثير جدال حول الزوائد في القرآن الكريم، بحجة أن سياقه مترفع عن الزيادة والنقصان؛ وعلى الرغم من أن الاصطلاح أداة العلوم في فتح مغالقها يكون بمسميات متواضع عليها، ثابتة في دلالاتها مثل الزائد الذي لا يفيد إلا الجانب الاعرابي، فإنه لما أثير من إشكال عقدي لجأ المفسرون والنحاة إلى تزيينه بتنويع أشكال التعبير عنه فاختلف الاصطلاح وتعدد، وقد وسمه البصريون، مثلا، بالزيادة واللغو، ونعته الكوفيون بالصلة والحشو (**فدا، ٢٠٠٠: ١١**).

وقد تفنن الألوسي[١] في وصف الزوائد في القرآن، سيرا على سنة غيره من اللغويين، وانفرد بسيف خطيب بحسب ما ثبت لدينا من المصادر، من دون أن يحدد المقصود به على عادة العرب في الاصطلاح. فلماذا سيف خطيب؟ أين استعمله؟ ومن أين أخذه؟ ولماذا اعتمده؟ وكانت مراحل البحث هي نفسها عناصر هذه الدراسة كما يلي:

١. سيف خطيب محاولة في التأصيل والتحديد.
٢. سيف خطيب في روح المعاني: محاولة في الإحصاء.
٣. سيف خطيب بحث في الدلالة وأشكال الحضور.

استنتاجات سيف خطيب تقية أم إثبات للذات المبدعة؟

١) سيف خطيب محاولة في التأصيل والتحديد

يتضح من مواضع اعتماد سيف خطيب في روح المعاني أن المقصود به حروف المعاني الزوائد، ويؤكده تعقيب الالوسي نفسِه في مواطن استعماله؛ كما سنرى. لكن يبدو استعماله هنا غريبا، لذلك نتساءل من أين أخذه يا ترى؟

إن عدم تواتر اللفظ في كتب اللغة والتفسير، يسمح بالتسليم بانفراد الآلوسي باستعماله في هذا المجال من دون الإقرار بالسبق إلى وضعه، وبأنه لا يرقى إلى مستوى على وفق اصطلاح وفق شروط الاصطلاح خاصة الاتفاق، يقول الجرجاني في تعريفه: «هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها» **(الجرجاني، ١٩٦٩: ٧-٩)**[٢]، فما دام سيف خطيب لم يعتمد لدى غيره، ولم يشتهر فهو لفظ وليس اصطلاحا، ويقتضي منا تأصيل البحث في مظان أخر لعلنا نجد تفسيرا لاعتماده هنا، مع التركيز على السيف لأن الخطيب واضح، ومع افتراض جواز القراءتين بالفتح والكسر في البداية على الأقل:

١. سيف بالكسر في المعاجم اللغوية: لم نجد (سيف) مضافا إلى خطيب في أي معجم لغوي، وإنما وجدنا سيف البحر بمعنى الساحل، ورد في معجم

الصحاح: «السيف بالكسر ساحل البحر..والسيف أيضا ما كان ملتزقا بأصول السعف كالليف وليس به، وهذا الحرف نقلته من كتاب من غير سماع» **(الجوهري، ١٣٥١: سيف)**، إن هذا التعريف يسمح بافتراض علاقة المعنى اللغوي بسيف خطيب الالوسي فالحرف الزائد هو ما أدخل في العبارة لكنه يلتزق بها لما يضيفه من الدلالة خاصة التوكيد، ومن الإشارات المهمة في هذا التعريف قول الجوهري: إنه أخذه من كتاب من غير سماع، ويفيد أنه كان مستعملا ثم أهمل بعد ذلك، كما أن «كتاب» هنا بالتنكير يدل على أنه ليس من الكتب المتخصصة؛ وهنا يطرح السؤال لماذا لم يصرح بهذا المصدر مع أن في العبارة ما يفيد أنه اطلع عليه؟ وهل اطلع الآلوسي على نفسه الكتاب وإن لم يصرح به؟ يفترض أن الآلوسي بحث عن النادر حرصا على التميز والتقية كون العامة لا تفهم القصد وإنما موكول فقط للمتخصصين في اللغة.

٢. سيف بالفتح في المعاجم، ومن معانيه قول ابن دريد: «وذكر أبو عبيدة واحسبه عن يونس أيضا أن اشتقاق السيف من قولهم ساف ماله أي هلك فلما كان السيف سببا للهلاك سمي سيفا ولم يقل هذا غيرهما» **(ابن دريد، ١٣٥١: سيف)** إن هذا المعنى يعطينا تحليلا اخر هو الهلاك وهو أيضا معنى نادر، لم يقل به غير علمين، فيكون سيف خطيب إشارة إلى عدم جواز القول بالزائد ولا بحثه بوصفه سبيل الهلاك الذي يقابله في الدين التيه والضلال، وربما المقصود بالهلاك هو كثرة الخلاف في الحكم وصعوبة الحسم. وترجيح أحد المعنيين يتوقف على إنهاء التحليل، والمعنيان محتملان لكن الأول أرجح وفق الملاحظات سالفة الذكر.

٣. وأضاف ابن منظور: في لسان العرب: «ابن الأَعرابي الموضع النَّقِيُّ من الماء ومنه قيل درهم مُسَيَّفٌ إذا كانت له جوانبُ نَقِيَّة من النَّقْشِ» **(ابن منظور، ١٩٥٥: سيف)**. فيكون بهذا المعنى سيف خطيب إشارة الى اقتصار الالوسي في دراسة هذه الحروف على المفيد باظهار خصائصها وأنواعها.

وقد يكون هذا التعدد في المعنى هو الداعي لاختيار هذا التعبير عند الآلوسي. لأن الآراء حول هذا الحرف تبدو متناقضة أيضا بين العلماء كما أن في نعته بالزائد للتوكيد أيضا تناقض فكيف الزائد بمعنى ما يستقيم السياق من دونه يوظف لوظيفة قوية وهي التوكيد، كما سنتبين من أقوال الألوسي نفسه.

علاقة السيف بالخطيب، قد يكون كناية عن عدته الممثلة في مجموعة أدوات تزين الخطبة وتهب الخطيب الوقار والجمال ذكرها الجاحظ في كتاب العصا **(الجاحظ:٣ / ٩٢)**، فالحروف الزائدة أيضا تحقق للعبارة تميزا عن غيرها بتأكيد المعنى وتقويته. وقد يكون كنى بالسيف لما فيه من خلاف، أو لبيان انه لا يجوز الكلام فيها كما لا يجوز حمل السيف لان المقام لم يعد يقتضيه.

يعد حمل السيف في الخطبة من مواضع الخلاف من حيث حكمُه وأدبُه أيضا، فهناك من أجازه مثل النووي[٣]، وهناك من أنكره خاصة ابن القيم[٤] وحمله الرافعي على التهكم، واختلف المجوزون حول آداب حمله وكيفيته هل باليمين أم باليسار (ابن العطار،١٩٩٦: ٢١٣-٢١٥).

في الأثر: نجد في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون أن المعري ٤٩٩ هو من سمى كتابه بسيف خطيب، ويشتمل على خطب السنة في أربعين كراسة» **(حاجي خليفة، دت: ١٥٤)** وفي ترجمته ذكر بكتاب سيف الخطبة، وقالت عنه بنت الشاطئ باسم سيف الخطبة: «وفيه نماذج لخطب الجمعة والعيدين والاستسقاء

والكسوف والخسوف وعقد النكاح، على حروف المعجم، سأله فيه أحد المشتغلين بالدين» (**بنت الشاطئ، د.ت: ١٥٤**)؛ ويطرح السؤال هل أخذه عنه الآلوسي ولم يحل على مرجعه، مع أنه قد يكون سبب النزول واحد سؤال طالب عن الحكم مع اختلاف في المجال، وهو افتراض تدعمه قلة الشواهد المضمنة له مقارنة باصطلاح الزيادة، وتنوع أحكام الزوائد فيها، فكأنه يلخص للسائل حكم الزوائد في القرآن كما أن المعري أعطى السائل نماذج من خطب المناسبات كلها، ولا نجد غيره اعتمده غير الشيخ عبد الرحمن القماش في كتاب: الحاوي في تفسير القرآن الكريم، وفيه معنى غير الذي نجده عند الآلوسي، وهو ما أقحمه المفسر في القرآن لإيضاح المعنى (**القماش، ١٩٩٠: ص٢٣٧١٣**).

في آداب التسمية في الثقافة الإسلامية، نلاحظ أنه من المحبذ التسمي بالأسماء المركبة تركيبا إضافيا من مثل سيف الإسلام، وسيف الله المسلول وسيف الدين. ولعل هذا الاستحسان جعل الالوسي يبدع في الألفاظ النحوية والبلاغية فوصف هذه الحروف المركب الغريب والبديع في الان نفسه لتزيينها والتخفيف من أثر القول بالزائد الذي خلق بلبلة كبيرة في الفكر الإسلامي. ويؤكد هذا الاحتمال عندنا أن الآلوسي نوع في اللفظ فقال الصلة والمقحم والزائد وسيف خطيب. كما أنه نبه في المقدمة على أهمية البلاغة في التفسير.

هذه كلها إذن، فرضيات قد تكون منبعا استقى منه الآلوسي مادة هذا البحث، ولا تعارض بينها إن اجتمعت فكانت أساسا له، مع القول بترجيح سيف بفتح السين على الكسر من جهة، والميل الى أخذ اللفظ عن المعري من جهة ثانية، فهل اطرد اعتماده لدى الآلوسي؟

٢) سيف خطيب في روح المعاني: محاولة في الإحصاء

إن أول سؤال يطرحه سيف خطيب ما دلالته؟ هل اعتماده كان اعتباطا أم مقصودا لذاته؟ ومقاربة هذا السؤال اقتضى منا أولا الاعتكاف على قراءة تفسير الآلوسي في محاولة إحصاء عدد مرات اعتماد سيف خطيب في تفسيره، وربطها بعدد الزائد في القرآن لتحديد نسبته المئوية، وكان المصدر الموازي هو تفسير البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي، واختياره كان لداعيين: الأول كثرة اعتماد الآلوسي عليه والثاني اهتمامه بالجانب النحوي وبالتالي تيسيره بحث مواطن الزائد في القرآن، فاستنتجت أن اللفظ اعتمد في ثمان وعشرين موضعا، مكررا في أحدها، أوله في توجيه لا النافية في قوله تعالى ولا الضالين من سورة الفاتحة، واخره في توجيه من في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (سورة الأحزاب:٤)، وهي كما يلي:

- **الموضع الأول في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة: ٧). الشاهد: (لاَ). قال الآلوسي في روح المعاني: وهو [يعني: لا] «سيفُ خطيبٍ» أتى بها لتأكيد ما في (غير) من معنى النفي (**الألوسي: مج١،١/ ٨٩-٩٠**).
- **الموضع الثاني في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (سورة البقرة: ٢٦). الشاهد: (مَا). قال الآلوسي في روح المعاني: و(ما) اسم بمعنى شيء يوصف به النكرة لمزيد الإبهام ويسد طرق التقييد، وقد يفيد التحقير أيضا كأعطه شيئاً (ما)، والتعظيم كـ (لأمرٍ «ما» جدَعَ قصير أنفه)، والتنويع كاضربه ضرباً (ما)، وقد تجعل «سيفَ خطيبٍ». والقرآن أجلّ من أن يلغى فيه شيء. وبعوضة إما صفة لما أو بدل منها أو عطف بيان إن

قيل بجوازه في النكرات أو بدل من (مَثلاً) أو عطف بيان له إن قيل (ما) زائدة أو مفعول.

- **الموضع الثالث في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (سورة البقرة:٢٣٣). الشاهد: الباء في (بِوَلَدِهَا). قال الآلوسي في روح المعاني: ولك أن تجعل فاعل بمعنى فعل والباءَ «سيفَ خطيبٍ»، ويكون المعنى: لا تضر والدةٌ ولدَها بأن تسيء غذاءه وتعهُّدَه وتفرطَ فيما ينبغي له وتدفعه إلى الأب بعدما ألفها، ولا يضر الوالد ولده بأن ينزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حقه(٥).

- **الموضع الرابع في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (سورة آل عمران:١٥٤). الشاهد: (مِن) في قوله: (مِن شَيْءٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: و(مِن) الثانية «سيف خطيبٍ»، و(شيء) في موضع رفع على الابتداء، وفي خبره -كما قال أبو البقاء- وجهان، أحدهما (لنا) فمن الأمر حال، والثاني (من الأمر) فلنا تبيين، وبه تتم الفائدة.

- **الموضع الخامس في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة المائدة: ١٠٣). الشاهد: (مِن) في قوله: (مِن بَحِيرَةٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: ومعنى (ما جعلَ): ما شرع، ولذلك عدى إلى مفعول واحد وهو(بحيرة)... و(من) «سيفُ خطيب» أتي بها لتأكيد النفي. (**الألوسي: مج٣، ٧/ ٤٣**).

- **الموضع السادس في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٥٣). الشاهد: الباء في قوله تعالى: (بِأَعْلَمَ). قال الآلوسي في روح المعاني: والباء الأولى «سيفُ خطيبٍ» والثانية متعلقة بأعلم (**الألوسي:مج٣، ٧/ ١٦٣**).

- **الموضع السابع في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَو هُمْ قَائِلُونَ﴾ (سورة الأعراف:٤). الشاهد: (مِن قَرْيَةٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: وكم: خبرية للتكثير في محل رفع على الابتداء، والجملة بعدها خبرها، ومِن «سيف خطيب»، وقريةٍ: تمييز ويجوز أن يكون محل كم نصباً على الاشتغال»(**الألوسي: مج٣، ٨/ ٧٨**).

- **الموضع الثامن في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (سورة الأعراف:٩٤). الشاهد: (مِن نَّبِيٍّ). قال الآلوسي في روح المعاني: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ) إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم المذكورة تفصيلاً، وفيه تخويف (**الالوسي: مج٣، ٨/ ٩**).

- **الموضع التاسع في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف:١٧٤). الشاهد: الواو في (وَلَعَلَّهُمْ). قال الآلوسي في روح المعاني: وأيًّا ما كان؛ فالواو ابتدائية كالتي قبلها، وجوِّز أن تكون عاطفة على مقدر، أي ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر أو ليظهر الحق، ولعلهم يرجعون، وقيل إنها «سيف خطيب، (**الألوسي، مج٣، ٩/ ١٠٩**).

- **الموضع العاشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة هود:١٦).

الشاهد: (ما). قال الآلوسي في روح المعاني: وخرّجه صاحب اللوامح على أن (ما) «سيفُ خطيب» (**الألوسي، مج٣، ٩/ ١٠٩**).

- **الموضع الحادي عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ (سورة الإسراء:٢). الشاهد: (مِن). قال الآلوسي في روح المعاني: و(من) «سيف خطيبٍ»، ودون بمعنى غير، وقد صرح بمجيئها كذلك في غير موضع، وهي مفعول ثانٍ لتتخذوا، و(وكيلاً) الأولُ، وجوز أن تكون مِن تبعيضية واستظهر الأول، والمراد النهي عن الإشراك به تعالى (**الألوسي، مج٥، ١٥/ ١٥**).

- **الموضع الثاني عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (سورة الإسراء:١٤). الشاهد: الباء في (بِنَفْسِكَ). قال الآلوسي في روح المعاني: قوله تعالى: (كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) من جملة مقول القول المقدر، وكفى فعلٌ ماضٍ، وبنفسك فاعله، والباء «سيف خطيب»، وجاء إسقاطها ورفع الاسم كما في قوله: «كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ للمرءِ نَاهِيَا»، وقوله:

«ويُخْبِرُني عن غَائِبِ المَرْءِ هَدْيُه كَفَى الهَدْيُ عمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخبرا»

(**الألوسي، مج٥، ١٥/ ١٩**).

- **الموضع الثالث عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾ (الإسراء:٥٩). الشاهدان: الباء في (بِالآيَاتِ)، وفي (بِالآيَاتِ). قال الآلوسي في روح المعاني: ونصب (تخويفاً)على أنه مفعول له، وجوزَ أن يكون حالاً؛ أي مخوِّفينَ، والباء في الموضعين «سيفُ خطيبٍ»، و(الآيات) مفعول

نرسلُ، أو للملابسة؛ والمفعول محذوف... وقيل إنها للتعدية (**الألوسي، مج٥، ١٥/ ١٠٥**).

- **الموضع الرابع عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ (سورة الإسراء:٨٩). الشاهد: (مِن). قال الآلوسي في روح المعاني: و(مِن) لابتداء الغاية، وجوّز ابن عطية أن تكون «سيفَ خطيبٍ»، فكُلّ هو المفعول وهذا مبني على مذهب الكوفيين والأخفش لأنهم يجوزون زيادة من في الإيجاب دون جمهور البصريين» (**الألوسي، مج٥، ١٥/ ١٦٧**).

- **الموضع الخامس عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ (سورة الكهف:٥٤). الشاهد: (مِن). قال الآلوسي في روح المعاني: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) كررنا وأوردنا على وجوهٍ كثيرة من النظم (فِي هَذَا الْقُرْآنِ) الجليلِ الشأن (للناسِ) لمصلحتهم ومنفعتهم (مِن كُلِّ مَثَلٍ) أي: كلَّ مَثلٍ؛ على أن من «سيفُ خطيب» على رأي الأخفش والمجرور مفعول (صرّفنا)، أو: مثلاً من كل مثل؛ على أن من أصلية والمفعول موصوف الجار والمجرور المحذوف. (**الألوسي، مج٥، ١٥/ ٢٩٩**).

- **الموضع السادس عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه:١٣). الشاهد: اللام في (لِمَا). قال الآلوسي في روح المعاني: قال في إعرابه لحرف اللام: «... وقيل هي «سيفُ خطيب» فلا متعلق لها كما في (ردفَ لكم) وما موصولة..» (**الألوسي، مج٦، ١٦/ ١٧٠**).

- **الموضع السابع عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (سورة طه:٧٨). الشاهد: (بِجُنُودِهِ). قال الآلوسي في روح المعاني: (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) أي تبعهم ومعه جنوده؛ على أن أتبع بمعنى، وهو متعدٍّ إلى واحد والباء للمصاحبة والجار والمجرور في موضع الحال؛ ويؤيد ذلك أنه قرأ الحسن وأبو عمرو في رواية (فاتبعهم) بتشديد التاء، وقرئ أيضاً (فاتبعهم فرعون وجنوده)،... وعن الأزهري: أن المفعول الثاني جنوده، والباء «سيف خطيب»، أي أتبعهم فرعون جنودَهُ وساقهم خلفهم فكان معهم يحثهم على اللحوق بهم» (**الألوسي، مج٦، ١٦/ ٢٣٧**).

- **الموضع الثامن عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (سورة طه:٩٣). الشاهد: «لا» في (أَلاَّ). قال الآلوسي في روح المعاني: (ألاّ تتبعن) أي تتبعني؛ على أن (لا) «سيف خطيب»، كما في قوله تعالى (مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ)، وهو مفعول ثانٍ لمنع وإذ متعلق بمنع وقيل: بتتّبعَنِ»(الألوسي، مج٦، ١٦/ ٢٥٠).

- **الموضع التاسع عشر في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٢). الشاهد: «مِن» في (مِن ذِكْرٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ): من طائفة نازلة من القرآن تذكّرهم أكملَ تذكير وتبيّن لهم الأمر أتمّ تبيينٍ كأنها نفس الذِّكر، و(مِن) «سيفُ خطيبٍ» وما بعدها مرفوعُ المحلِّ على الفاعلية، والقول بأنها تبعيضيَّة بعيدٌ» (**الألوسي، مج٦، ١٧/ ٧**).

- **الموضع العشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٩٥). الشاهد: (لاَ). قال الآلوسي في روح المعاني:

ونقله أبو حيان عنه؛ لكنه قال إن الغرض من الجملة على ذلك إبطال قول من ينكر البعثَ وتحقيق ما تقدم من أنه لا كفران لسعي أحدٍ وأنه يجزي على ذلك يوم القيامة، ولا يخفى ما فيه. وقال أبو عتبة: المعنى وممتنعٌ على قرية قدرنا هلاكها أو حكمنا به رجوعُهم إلينا؛ أي توبتُهم؛ على أنّ (لا) «سيف خطيب» مثلها في قوله تعالى:(ما مَنعكَ ألاّ تسجُدَ) -في قول- وقيل: (حرامٌ) بمعنى واجب» (**الألوسي، مج٦، ١٧/ ٩١**).

- **الموضع الحادي والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٧). الشاهد: الواو في (وَاقْتَرَبَ). قال الآلوسي في روح المعاني: وقيل جواب الشرط (اقترب)والواو [في: وَاقْتَرَبَ] «سيفُ خطيبٍ»، ونقل ذلك في مجمع البيان عن الفراء، ونقل عن الزجّاج أن البصريينَ لا يجوزون زيادة الواو وأن الجواب عندهم قولهُ تعالى (يا وَيْلَنا)، أي القول المقدر قبله؛ فإنه بتقدير: قالوا يا ويلنا» (**الألوسي، مج٦، ١٧/ ٩٣**).

- **الموضع الثاني والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء:١٠). الشاهد: اللام في (لِلْكُتُبِ). قال الآلوسي في روح المعاني: واللام -على هذا- قيل متعلقة بطَيِّ، وقيل «سيفُ خطيب» (**الألوسي، مج٦، ١٧/ ١٠٠**).

- **الموضع الثالث والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (**سورة الحج:٧١**). الشاهد: (مِن نَّصِيرٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: و(مِن) في قوله

تعالى (مِن نصيرٍ) «سيفُ خطيبٍ»، والمراد نفيُ أن يكون لهم بسبب ظلمهم من يساعدهم في الدنيا بنصرةِ مذهبهم وتقرير رأيِهم ودفع ما يخالفه، وفي الآخرة بدفع العذاب عنهم... (**الألوسي، مج٦، ١٧/ ١٩٩**).

- **الموضع الرابع والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٣٦). الشاهد: اللام في (لِمَا). قال الآلوسي في روح المعاني: واللام «سيف خطيب»، وأُيّدَ بقراءة ابن أبي عبلة (هَيْهاتَ هيهاتَ ما تُوعَدونَ)بغيرِ لام، ورُدَّ بأنها لم تُعهد زيادتُها في الفاعل (**الألوسي، مج٦، ١٨/ ٣١**).

- **الموضع الخامس والعشرون:** ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (سورة المؤمنون:٤٣). الشاهد: (مِنْ). قال الآلوسي في روح المعاني: (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا): أي ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقتَ الذي عُيّن لهلاكهم، فمِن «سيف خطيبٍ» جيء بها لتأكيد الاستغراق المستفاد من النكرة الواقعة في سياق النفي. وحاصل المعنى: ما تهلك أمة من الأمم قبل مجيء أجلها (وما يستأخِرون) (**الألوسي، مج٦، ١٨/ ٣٤**).

- **الموضعان السادس والعشرون والسابع والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (سورة النور:٢). الشاهد: الفاء في قوله تعالى: (فَاجْلِدُوا). قال الآلوسي في روح المعاني: والفاء في قوله تعالى (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) سببيّة، وقيل «سيف خطيب» وذهب الفراء والمبرد والزجاج إلى أن الخبر جملة (فاجلدوا).. إلَخ. والفاء في المشهور لتضمن المبتدأ معنى الشرط، إذ اللام فيه وفيما عطف عليه موصولة؛ أي التي زنت والذي زنى فاجلدوا..

إلخ. وبعضهم يجوز دخول الفاء في الخبر إذا كان في المبتدأ معنًى يستحق به أن يترتب عليه الخبر وإن لم يكن هناك موصول كما في قوله (وَقَائِلَةٍ خَوْلاَنُ فَانْكِحْ (...) ونقل عن الأخفش أنها «سيف خطيبٍ»، والداعي لسيبويه على ما ذهب إليه ما يفهم من الكتاب، كما قيل من أنّ النهج المألوف في كلام العرب إذا أريد بيان معنًى وتفصيله؛ اعتناءً بشأنه، أن يذكر قبله ما هو عنوان وترجمة له وهذا لا يكون إلاّ بأن يبنى على جملتين؛ فما ذهب إليه في الآية أولى لذلك مما ذهب إليه غيره... (الألوسي، مج٦، ١٨/).

- **الموضع الثامن والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٢١). الشاهد: (مِن) في قوله تعالى: (مِنْ أَحَدٍ). قال الآلوسي في روح المعاني: و(مِن) في قوله تعالى: (منكم) بيانيّة، وفي قوله سبحانه: (مِن أحدٍ) «سيف خطيبٍ» و(أحدٍ) في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى، وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية (**الألوسي، مج٦، ١٨/ ١٢٤**).

- **الموضع التاسع والعشرون في تفسيره لقوله تعالى:** ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (سورة الأحزاب:٤). الشاهد: (مِن). قال الآلوسي في روح المعاني: والجَعْلُ بمعنى الخَلْق، و (مِن) «سيفُ خطيب» (**الألوسي، مج٧، ٢١/ ١٤٥**).

هذه إذن هي حالات حضور المصطلح في روح المعاني، وأنه أكثر اعتمادا مع (من) الزائدة باثنتي عشرة مرة، فـ (الباء) بست مرات، فـ (اللام) و (لا) النافية كل واحد بثلاث مرات، ثم (ما) النافية و (الواو) مرتين وأقلها (الفاء) مرة واحدة، فما دلالته وما أشكال حضوره؟

٣) سيف خطيب: بحث في الدلالة وأشكال الحضور

إن استقراء هذه المواضع التي اعتمد فيها سيف خطيب يبين:

أن المقصود بسيف خطيب حروف الزيادة، لأنه يفسر بها أكثر من مرة كما سنبين، وهذا يطرح لماذا سيف خطيب هل هو بديل عن مصطلح الزائد المتداول أم مرادف له؟

إن مواضع اعتماد هذا المركب الإضافي قليلة جدا مقارنة بمواطن الحشو والصلة في القرآن كما أنه ضمن النصوص التي ذكر فيها يقل العدد الذي يتبناه الآلوسي، ومعظمه ينسبه لغيره وأكثره يبنيه للمجهول (قيل سيف خطيب)، وهنا نطرح السؤال هل من مميز لمواضع اعتماد سيف خطيب على غيرها؟ وهذا سنبين من الملاحظات الآتية:

كما ذكرنا انفا، فإنه لم يعتمد في وصف الزائد في القرآن جملة وإنما في وصف القليل منه فقط، واختلف الباقي إلى أقسام تطابق في معظمها حالات اعتماد سيف خطيب، منها:

١. التصريح بأنه الزائد بهذا اللفظ، وترجيحه على غيره من الآراء مع تعليله بالفائدة البلاغية بقوة اللفظ «إفادة تأكيد معنى معين، ومنه والأمثلة كثيرة قوله في سورة الأعراف: (ما منعك ألا تسجد)، المشهور أن(لا) مزيدة بدليل قوله سبحانه في أية أخرى: ما منعك أن تسجد،...لتأكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقِه، واستشكل بأنها كيف تؤكد ثبوت الفعل مع إيهام نفيه.... كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالين،... وقيل غير زائدة» (**الآلوسي**: ٨/ ٨٨). وهذا الشاهد احتفى به الالوسي كثيرا إذ عدّهُ المثل الأعلى الذي يبين به معظم

الشواهد التي وصف فيها الزائد بسيف خطيب، إذ غالبا ما يقول سيف خطيب كما في قوله تعالى ما منعك الا تسجد، وفي هذا دليل على إحساسه بأن اللفظ غريب قد لا يفهمه المتلقي فيوضحه بهذه الإحالة عن طريق التشبيه، مما يؤكد الترادف بينهما لدى الالوسي. وهنا ممكن أن نسأل الالوسي: ألا يمكن أن نقرأ هذا الشاهد قراءة أخرى، فنفترض الحذف بدل الزيادة كأن نقرأ (ما منعك أن تسجد؟ ألا تسجد؟) وحينها ربما تحتاج حجج الالوسي إلى قراءة بالنقيض.

٢. أنه أحيانا يتبع باللفظ الأصل وأحيانا أخرى لا يعتمده، بمعنى أنه يصف الحرف بأنه سيف خطيب وفي التعليل والمحاججة يشير إلى أنه زائد بصريح اللفظ أو العكس: في الموضع نفسه أو حين الإشارة إليه في موضع آخر، مما يؤكد التطابق التام في الدلالة بين اللفظين عند الآلوسي والتناوب بينهما في الحضور كما في المثال السابق[٦]. وقد يجمع بينهما في نفس الآية لكن لكل موضع خاص به مما يبين الحرص على تنويع اللفظ وبراز الذات المبدعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ (سورة الإسراء:٢)، فقد قال إن (أنّ) زائدة ومن سيف خطيب نقلا عن الغرناطي[٧]، ففيه دليل على احتفاء الآلوسي باللفظ، وأيضا على كثرة الاعتماد على أبي حيان في النقل والتوجيه والاحتراس من القول الزيادة.

٣. رد الزيادة، ويسلك الآلوسي في ذلك مذاهب منها الإشارة إلى معظم الآراء النحوية في المسألة بما في ذلك الزائد بهذا اللفظ أو بسيف خطيب، مع التصريح بضعفه وترجيح غيره من الآراء عليه، ومنه قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾ (آل عمران: ١٢٤): «فمن تبعيضية وقيل هي زائدة

واختاره الطبرسي وهو ضعيف»[٨]، أو الحكم على الزيادة بأنه بعيد أو فاسد. والحكم نفسه نجده في سيف خطيب وأمثلته واضحة في اللائحة أعلاه.

٤. السكوت عن الحرف في موضعه على الرغم من إشارة غيره إلى أنه زائد، ومنه في قوله تعالى: ﴿وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٠٧)[٩].

٥. التصريح بالموقف من الزائد مع اعتماد سيف خطيب، ومنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (سورة البقرة:٢٦). قال الآلوسي في روح المعاني: و(ما) اسم بمعنى شيء يوصف به النكرة... وقد تجعل «سيفَ خطيبٍ». والقرآن أجلّ من أن يلغى فيه شيء»[١٠].

إن هذا القول ينطق بموقف الآلوسي من الزائد الذي يبدو في ظاهره متناقضا بين القول «وقد تجعل سيف خطيب» الذي فيه قبول ضمني لكونها زائدة عن طريق التحقيق (قد)، وبين إنكار الزيادة في القرآن الكريم بالقول: والقرآن أجل من أن يلغى فيه شيء، وتخريج هذا التناقض هو الفرق بين سلامة العبارة وتمام المعنى، فاللفظ من الناحية الإعرابية زائد لكون العبارة تستقيم من دونه، لكنه من الناحية الدلالية له دلالة لا تتحقق إلا بثبوته.

معارضة الرأي السابق مع تنويع اللفظ، بالاعتراف بأن في القرآن الزائد الذي يمكن الاستغناء عنه معتمدا لفظ مقحم، ومنه في تفسير قوله تعالى: ﴿أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ﴾: «والفاء للعطف على مقدر (...) وهذا مراد من قال إنها مقحمة مزيدة لتقرير معنى الإنكار أو التقرير أي مقحمة على المعطوف مزيدة بعد اعتبار عطفه ولم يرد أنها صلة». وفي هذا القول مسائل منها الفصل بين الإقحام والزيادة من جهة، وبين الصلة والزيادة في هذا الموضع، وخالفه في موضع اخر إذ اقر بترادف

الزيادة والصلة «ومن زائدة للتأكيد كما هو شأن الصلات وقد فهم أهل اللسان كما قال الشهاب أنها لتأكيد الاستغراق»[١١].

مع التنصيص على الفرق بين الزيادة والإقحام في موضع اخر إذ بيّن أن الاقحام ما كان لغير فائدة كالكاف في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ (الأنعام: ٥٣)، يقول: «والكاف مقحمة بمعنى أن التشبيه غير مقصود منها بل المقصود لازمه الكنائي أو المجازي وهو التحقق والتقرر وهو إقحام مطرد وليست زائدة كما توهم» (**الألوسي، مج٣، ٧/ ١٦٢**). وهذا الاضطراب في الاصطلاح يعرب عن عدم وضوح الرؤية والاضطراب في الموقف.

وهذا التنويع في الاصطلاح على الرغم مما يوحي به من الاضطراب، فإن ظاهره ينفي عن الآلوسي التعصب لمدرسة أو مذهب نحوي، فقد عبر بالزائد كما عند البصريين، وبالصلة كما عند الكوفيين، وقال بالمقحم وأبدع سيف خطيب لكنه ميز في الدلالة كما قلنا.

ترجيح حكم الزيادة على غيره من الأحكام في بعض مواطن الخلاف النحوي، مع اعتماد سيف خطيب أو الزيادة، ومنه ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٢). قال: (مِن) «سيفُ خطيبٍ» وما بعدها مرفوعُ المحلِّ على الفاعلية، والقول بأنها تبعيضيَّة بعيدٌ.

إن الملاحظات سالفة الذكر إذن تسمح لنا بالتسليم بأن سيف خطيب مرادف للزيادة عند الآلوسي ومخالف للاقحام والصلات، وتصدق عليه جميع أشكال حضور الزوائد في تفسيره من دون تميز في الحالات والأنواع، لكن قلة وروده عنده مقارنة بالزيادة وعدم تداوله عند غيره يفيد أنه لم يرق إلى مستوى اصطلاح نحوي دقيق كالزيادة، لاخلاله بشرط الاستعمال ووضوح الدلالة.

وأن هناك اضطراباً في موقف الآلوسي من الزائد في القرآن يعكسه تباين الآراء واختلاف الاصطلاح المعتمد.

وأن الآلوسي لا يتسع في الزيادة وإنما يجعلها في حيز الضرورة، لذلك إذا اختلف في الزائد غالبا ما يرجح القول بعدمه إلا عند عدم وجود مندوحة. وفيه أيضا إشارة واضحة إلى تأثر الآلوسي بموقف أبي حيان في المسألة وليس بينهما إلا اختلاف في اللفظ، يقول أبو حيان في السياق نفسه: «الزيادة والحذف على خلاف الأصل، ولا نذهب إليهما إلا لضرورة، ولا ضرورة تدعو هنا إلى ذلك مع صحة المعنى في عدم الزيادة» (**أبوحيان: ٢/ ١٥٦**).

نتائج وتوقعات

لماذا سيف خطيب إذا؟

إن ما سبق يعطينا ثلاثة احتمالات لاعتماد لفظ سيف خطيب لدى الآلوسي: **الأول**: أن يكون تقية. **الثاني**: أن يكون إبداعا بليغا. **الثالث**: أن يكون وصفا. أما الأول فإنه وإن بدا الاضطراب في الموقف وفي اللفظ، خاصة وأنه استعمل أيضا لفظ المقحم وصرح بالزيادة، وجمع بينهما في فقرة وفسر أحدهما بالاخر، فإن الآلوسي نفسه كما تقدم يعتمد الزائد في وصف بعض الحروف وأنه يرجحه على غيره من الآراء أحيانا، كما أنه يفسره بالزائد مباشرة أحيانا فيقول مثلا: وبالمقحم أحيانا وبالصلات أحيانا أخرى وربما الحشو إذ لم أتمكن من تتبع مواطن الزائد كلها في القرآن وإنما فقط نماذج من الآيات لاستخلاص الموقف. لكن مع ذلك فإن في اعتماده لسيف خطيب وتباين موقفه التي تشعر بنوع من التناقض وإسناد معظم الآراء التي يثبت فيه القول بالزائد إلى غيره أو بنائها للمجهول، يبين أن في اعتماده

لهذا اللفظ نوعاً من الاحتراز من القول بالزائد في القرآن إلا عند عدم وجود مندوحة عن التصريح به. إن في قوله التمييز بين زيادة اللفظ من الناحية الإعرابية النحوية إنكار القول بزيادة الدلالة، لذلك قال ليس في القرآن ما يلغى للإشارة إلى المعنى ولم يقل ما يحذف المرتبط باللفظ، وميز بين الزائد والمقحم وجعل سيف خطيب مرادفا للأول من دون الثاني، وأما الثاني فإنه واضح من خلال حرص الآلوسي على البلاغة كما يصرح به في مقدمة تفسيره، فقد شبه الزائد الذي يؤتى به للتوكيد بالسيف الذي لا يستخدم إلا كمنظر ومظهر من مظاهر الجمال الشكلي فقط في الخطبة فلعله لم يرد أن يقلد عبارة غيره، فابتدع اصطلاحا جديدا مستعارا من مجال الخطب وهذا حقه أم أنه اتقى أن يقول بالزائد في القرآن هذا ممكن، ثم ما من زيادة إلا كان لها دور في المعنى، والزيادة هنا لفظية لا معنوية.

الوصف: وصف الموفق من الزائد الذي كان مدار خلاف بين المذاهب من جهة وبين المدارس النحوية وبين أئمة المذهب الواحد والمدرسة الواحدة أيضا والذي يشبهه بالخلاف في المجال الفقهي على مسائل مختلفة ومثل لها بسيف خطيب، كناية عن إهمال المسائل الأساس التي تمثلها المضامين والموضوعات والانشغال بالهوامش التي تمثلها بعض تقنيات الخطبة كالعمامة والعصا والصوت وغيرها.

والخلاصة أنه إبداع غايته التقية بعد أن عرف ما في اللفظ من موقف للفئة التي يمثلها لكنه مع ذلك لم يستطع الانضباط لهذا المبدأ لأن ثمة مواضع يفرض عليه فيها المصطلح الأصل نفسه، وهنا الفرق واضح بين اللفظ والمصطلح، إذ سيف خطيب لفظ استعير للمعنى والزيادة مصطلح مألوف ولقي القبول.

إن مما قصد إليه الآلوسي من وراء سيف خطيب توضيح أن الزيادة في القرآن وفصيح البيان ليست لغوًا باطلاً، ولا عبثًا فارغًا، ولكنها تراد قصدًا لمطلب كريم

من مطالب البلاغة وفصاحة التعبير. كأدوات الخطيب التي ليست من مضامين الخطبة لكن مما يؤكد معانيها ويحدد أهدافها. لذلك يؤكد الوظيفة مع بيان المعنى بدقة تأكيد النفي أو تأكيد الاستغراق مثلا.

ومنه أيضا إشارة إلى القيمة الجمالية لهذه الحروف والمتمثلة في التنغيم وبالتالي تشبه سيف الخطيب الذي يزين الخطبة من عمامة وعصا وغيرهما. لماذا لا نتناول الموضوع من باب اخر وهو ان القران عربي جاء على وفق ما تكلمت به العرب (أي أنهم يزيدون في كلامهم ويحذفون) وهكذا نزل الفران؛ بلسانهم وعلى طريقتهم في الكلام

لنقول في الأخير إن الآلوسي يوافق جمهور المفسرين في أن القرآن كلام بليغ يمتنع أن يوجد فيه الزيادة المحضة التي يكون دخولها كخروجها، فإذا كان هذا من شروط الكلام البليغ فهو في القرآن أولى، ولذلك نبّه على أن القرآن لا يحتوي على شيء زائد، ونبه من خلال «سيف خطيب» مصطلح على أن النحويين إذا ذكروا الزيادة والحشو ونحو ذلك فإن مقصودهم بذلك ضبط قوانين الإعراب، وأن حذف هذه الحروف لا يخل بالإعراب ولا يخرج الكلام عن قوانين العربية، ويبقى بعد ذلك بيان الفروق الدقيقة بين معنى الكلام بالزيادة ومعناه بغيرها قضية بلاغية وتنحصر في توكيد المعنى.

---

١. هو محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من كتبه: روح المعاني في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، ونشوة الشمول في السفر الى اسلامبول، رحلته الى الاستانة، ونشوة المدم في العود الى دار السلام، وغرائب الاغتراب، ودقائق التفسير، والخريدة الغيبية. ينظر الزركلي: الأعلام، ٧/ ١٧٦.

٢. ينظر في هذا الصدد كتاب بناء المصطلح العجيب والغريب والخارق والفانطستيك بين قيود المعجم وقلق الاستعمال، ط١ن مراكش: المطبعة والوراقة الوطنيةن ٢٠٠٧ن ص ص ٧-٩.

٣. ابن تيمية: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دط، الرياض: إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ٥/ ٥٢٨.

٤. ابن القيم: زاد المعاد، ١/ ١١٧.

٥. ابن العطار الدمشقي (علاء الدين بن إبراهيم): كتاب أدب الخطيب، قرأه وعلق عليه محمد ن الحسين السليماني وتقديم العلامة وحيد الدين خان، ط١، بيروت: در الغرب الإسلامي، ١٩٩٦، ص ص ٢١٣ـ ٢١٥.

٦. هذا أحد الوجوه التي ذكرها أبو حيان في البر المحيط وقد قدم وجوها اخرى نقلا عن الزمخشري مناقشا له ونفسها نجدها عند الالوسي وقد استغنينا عنها واكتفينا بموطن الشاهد وفق المقام، مما يفيد تأثره الكبير بأبي حيان واعتماده عليه.، ينظر البحر المحيط، ٢/ ٢١٥ـ ٢١٦.

٧. في نفس الموضع أو حين الإشارة إليه في موضع آخر، ومنه في قوله تعالى: (ألا تتبعن) أي تتبعني على أن (ل) سيف خطيب كما في قوله تعالى: (ما منعك ألا تسجد) (الأعراف: ١٢) وهو مفعول ثاني لمنع وإذ متعلق بمنع، وقيل: بتتبعني، ورد بأن ما بعد – أن – لا يعمل فيما قبلها. مع أنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ**﴾ لم يستعمل سيف خطيب وإنما الزيادة مستحضرا فيها ﴿**وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ حيث اعتمد سيف خطيب، مما يؤكد التطابق التام في الدلالة بين اللفظين عند الآلوسي والتناوب بينهما في الحضور.

٨. الآلوسي: روح المعاني، مج ١٥، ج١٥/ ١٤.

٩. الالوسي: روح المعاني، ٤/ ١٣٨. والموقف نفسه والتوجيه نجده عند أبي حيان وهو أن زيادة من في الشرط ضعيف، ينظر البحر المحيط، ٣/ ٣٥٦.

١٠. يقول أبو حيان: « ومن زائدة في قوله: من ولي فلا تتعلق بشيء». البحر المحيط، ١/ ٣٤٥،

١١. واكتفي الغرناطي بالقول: «وما زائدة أو صفة»، البحر المحيط، ١/ ١٢٠.

١٢. نفسه، ٢/ ١٦٩. في تفسير قوله تعالى: (وما من إله إلا الله). سورة آل عمران، الآية ٦١.

المصادر والمراجع

١. الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني مصر إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.

٢. ابن تيمية: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية دط، الرياض: إدارات البحوث العلمية والإفتاء

٣. الشريف الجرجاني (علي بن محمد) التعريفات د،ط، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٦٩

٤. الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، دت.

٥. . الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبين.

٦. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون د ط، بيروت: مكتبة المثنى د ت.

٧. حجازي محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح.

٨. الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، مادة سيف.

٩. الحيادرة (مصطفى طاهر): من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ط١، الأردن: عالم الكتب، ٢٠٠٣.

١٠. أبو حيان: تفسير البحر المحيط.

١١. ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الزدي) جمهرة اللغة ط١ القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، ١٣٥١.

١٢. بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمان): أبو العلاء المعري دط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة د.ت، أعلام العرب.

١٣. العباس عبد الحي: بناء المصطلح العجيب والغريب والخارق والفانطستيك بين قيود المعجم وقلق الاستعمال، ط١ن مراكش المطبعة والوراقة الوطنية ٢٠٠٧ ص ص ٧-٩.

١٤. ابن العطار الدمشقي (علاء الدين بن إبراهيم) كتاب أدب الخطيب قرأه وعلق عليه محمد ن الحسين السليماني وتقديم العلامة وحيد الدين خان، ط١، بيروت: در الغرب الإسلامي، ١٩٩٦

١٥. فدا هيفاء عثمان: زيادة الحروف بين التأييد والمنع ط ١ القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب، ٢٠٠٠.

١٦. قريرة (توفيق) المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب ط١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠٠٣.

١٧. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، د.ط، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥.